ذاكرة كربلاء: البعد الحضاري لزيارة الحسين

د.زهير تغلات
المعهد العالي للعلوم الإنسانيّة بمدنين/جامعة قابس، تونس

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان-١٤٤٦، آذار ٢٠٢٥

ملخص البحث

نعتزم في بحثنا هذا التطرّق إلى كربلاء بما هي ذاكرة تستوعب المكان والزّمان المقدّسين وتتبّع مسار تشكّل هذه الذّاكرة، فليس يخفى أنّ المكان المقدّس يلتحم بالزّمان المقدّس عاشوراء زمان استشهاد الحسين عليه السلام، ذاك الحدث المفصليّ في تشكّل الزّيارة المقدّسة، زيارة الأربعين أمّ الزّيارات، وتشكّل العناصر الأوّليّة لطقوس زيارة مرقد الحسين عليه السلام واكتسابها ضربا من القداسة والتّعالي. ونروم كذلك الكشف عن دور زيارة الأربعين بصفتها حدثا قادحا في استرجاع ذكرى رحلة الحسين عليه السلام من الحجاز إلى العراق واستخلاص العبرة الحضاريّة منها. وسنسعى أيضا إلى الوقوف عند شخصيّة الحسين عليه السلام الكاريزماتيّة وأبعادها المفعمة بالعاطفيّة والرّمزيّة والمحمّلة بمعاني التّضحيّة والفداء. فالرّحلة الحسينيّة والحدث الكربلائي يرسمان ملحمة تتبّعت مسارا زاخرا بقيم إنسانيّة خالدة حفظتها الذّاكرة الشّيعيّة وروتها لنا في أدقّ تفاصيلها. وسنعكف بعد ذلك على تبيّن ثالوث مترابط متكوّن من ثلاثة رموز أساسيّة عليها بنيت الذّاكرة الجمعيّة الشّيعيّة: الشّخص والمكان والزّمان، وهي أعمق المفاهيم التي تحكم زيارة الأربعين وسائر الزّيارات.

وسنتدبّر في الأثناء معاني دعاء زيارة الأربعين وما يرشح به من قيم التّضحيّة والولاء، والصّحبة، والبيعة، والخلاص.

وسنحاول في ثنايا بحثنا، قدر الجهد، تتبّع معالم المشروع الحسينيّ، وكيفيّة تجدّده عبر زيارة الأربعين ليغدوَ الحدث الكربلائي حلاّ لمشاكل العصر ورفعا لتحدّيات الواقع والمستقبل وضربا من النّهضة الحسينيّة التي تتجاوز الجانب المأساوي إلى الصّرخة المدوية والثّورة ضدّ الظّلم والذّلة والتّوق إلى الحرّية والكرامة.

الكلمات المفاتيح: كربلاء، زيارة الأربعين، الحسين، الشّيعة، التضحيّة، الشّهادة.

Memory of Karbala: The cultural dimension of Hussein's visit

Zuhair Taglat
Higher Institute of Human Sciences in Medenine, University of Gabes, Tunisia.

Abstract

In this research, we intend to address Karbala as a memory that encompasses the sacred place and time and to trace the path of the formation of this memory. It is no secret that the sacred place merges with the sacred time, Ashura, the time of the martyrdom of Al-Hussein (peace be upon him), that pivotal event in the formation of the sacred visit, the Arbaeen visit, the mother of visits, and the formation of the primary elements of the rituals of visiting the shrine of Al-Hussein (peace be upon him) and its acquisition of a kind of holiness and transcendence. We also aim to reveal the role of the Arbaeen pilgrimage as a sparking event in recalling the memory of Hussein's journey from Hijaz to Iraq and extracting the civilizational lesson from it. We will also seek to examine Hussein's charismatic personality and its dimensions, which are full of emotion and symbolism and laden with meanings of sacrifice and redemption. The Husseini journey and the Karbala event depict an epic that followed a path rich with immortal human values that the Shiite memory preserved and narrated to us in its finest details. We will then focus on clarifying an interconnected trinity consisting of three basic symbols upon which the Shiite collective memory is built: person, place, and time, which are the deepest concepts that govern the Arbaeen visit and all other visitations. In the meantime, we will contemplate the meanings of the Arbaeen visitation supplication and what it suggests of values of

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الثاني،العدد الثاني،الجزء الخامس، القسم الثاني السنة الثانية

sacrifice, loyalty, companionship, allegiance, and salvation.

We will try, as much as possible, in the folds of our research to trace the features of the Husseini project, and how it was renewed through the Arbaeen visit so that the Karbala event becomes a solution to the problems of the era and a rise to the challenges of reality and the future and a type of Husseini renaissance that goes beyond the tragic aspect to the resounding cry and revolution against injustice and humiliation and the longing for freedom and dignity.

Keywords: Karbala, Arbaeen pilgrimage, Hussein, Shiites, sacrifice, martyrdom.

١ـ توطئة:

إنّ الذّاكرة الحضاريّة لزيارة الأربعين قد قامت على مثلّث روحيّ مداره على كربلاء ذاكرة المكان المقدّس، وعاشوراء ذاكرة الزّمن المقدّس، والحسين عليه السلام رمزا تاريخيّا ودينيّا مقدّسا ومعراجا روحيّا وأملا خلاصيّا للزّائر. واتّسم المرقد- المزار بممارسة طقوس ذات عناصر تعبيريّة رمزيّة ارتبطت بكربلاء، فأضحت زيارة الأربعين مناسبة يتجدّد فيها الولاء لسيّد الشّهداء ومشروعه المهدويّ والبراءة من كل ظالم غشوم. وغدت الزّيارة حدثا قادحا لاسترجاع مسيرة الحسين عليه السلام التّاريخيّة إلى كربلاء واستخلاص العبرة من التّضحية التي تكبّدها لمحاربة الباطل وإحقاق الحقّ.

٢ـ كربلاء: البعد الحضاري

٢ـ١ كربلاء: ذاكرة المكان والزّمان

إنّ كربلاء ذاكرة رمزيّة تنحت هويّة مقدّسة مستمدّة من زمن البدايات، ذلك

أنّ «أرض كربلاء وماء الفرات أوّل أرض وأوّل ماء قدّس الله تبارك وتعالى فبارك الله عليهما» (الطبسي، ٢٠٠٤، ص١٤٧).

وكربلاء مكان الشّهادة والدّماء الزّكيّة المقدّسة، فقد رُوي عن الصّادق عليه السلام قال: «خرج أمير المؤمنين عليه السلام يسير بالنّاس حتّى إذا كان من كربلاء على مسيرة ميل أو ميلين فتقدّم بين أيديهم حتّى صار بمصارع الشّهداء قال: قبض فيها مائتا نبيّ ومائتا وصيّ ومائتا سبط كلّهم شهداء بأتباعهم» (الطبسي، ٢٠٠٤، ص١٤٧).

وفي هذا السّياق يذهب بيار نورا (Pierre Nora) إلى أنّ «الذّاكرة تتعلّق بالأماكن كما يتعلّق التّاريخ بالأحداث» (Nora,1984,p22)، فيبتدع مصطلح ذاكرة الأمكنة «La mémoire des lieux»، ويرتكز هذا الضّرب من الذّاكرة على وجود أمكنة وصور يربط بينها مسار قد يُدرك بالتّعاقب أو عبر المسافة التي توجد بينها، جسور تربط بين الماضي والحاضر، بين زمن البدايات ولحظة الزّيارة التي تتجدّد في دورة طقسيّة تذكّر بقداسة المكان باعتباره سرّة الأرض، فقد رُوي عن المفضّل بن عمر عن الصّادق عليه السلام: «إنّ بقاع الأرض تفاخرت، ففخرت الكعبة على البقعة بكربلاء فأوحى الله تعالى إليها: اسكتي ولا تفخري عليها فإنّها البقعة المباركة التي نودي منها موسى عليه السلام من الشّجرة وإنّها الرّبوة التي أوت إليها مريم والمسيح عليهما السلام ومدح كربلاء بأنّها أطهر بقاع الأرض وأعظمها حرمة وأنّها لمن بطحاء الجنّة»(الطبسي، ٢٠٠٤، ص ص١٤٨، ١٤٩).

وهكذا استحالت كربلاء «الذّاكرة المركّبة التي تشكّل معرفة توحّد الفضاء والزّمن وتمثّل المعارف الجماعيّة الممتدّة التي تتعدّى الذّاكرة الشخصيّة» (Verdier,2009,p5) إلى الذّاكرة المشتركة التي تؤسّس هويّة الجماعة عبر فعل التذكّر (Halbwachs,1950,p78).

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com المجلد الثاني،العدد الثاني،الجزء الخامس، القسم الثاني السنة الثانية

وتلتحم بذاكرة المكان كربلاء ذاكرة الزّمان عاشوراء زمان الاستشهاد، وهو من الأزمنة المقدّسة «Temps sacrés» (Eliade,1965,p63)، تشي إلى «فترة من الزّمان مقدّسة»(Eliade,1965,p63)، فلحظة عاشوراء مفصليّة «يصير الزّمن فيها رمزاً عندما يتمّ اقتطاع فترة تاريخيّة منه، وإضفاء هالة من القداسة عليها، ووصفها بنعوت تقيم مفارقة كبرى مع غيرها من الفترات التّاريخيّة اللاّحقة لها والمنضوية داخل دائرة الزّمن العادي، حتّى تتحوّل إلى أسّ للمشروعيّة الدّينيّة للمذهب»(المنصوري، ٢٠١١، ص٧٦)، ومصداق هذه اللّحظة المفصليّة المقدّسة ما قاله الشّيرازي في المجالس المؤيّدة: «إنّ يوم عاشوراء هو الذي دارت فيه على أهل بيت نبيّكم المحن وجارت أيدي الزّمن وهتكت ستور الفروض والسّنن» (الشّيرازي، د.ت، ص١٠٣).

إنّ كربلاء وعاشوراء هما مدارا المكان والزّمن المقدّسين، يشعّان على الزّيارة المقدّسة، زيارة الأربعين أمّ الزّيارات، «فأكثر ما يحرص عليه الزّائر في طقوس الزّيارة المشي على الأقدام إلى مرقد الإمام» (العامري، ٢٠٢١، ص٣٤٣) أسوة بمشي الصّحابيّ جابر بن عبد الله الأنصاري يوم الأربعين، وأسوة بمشي أسلاف الشّيعة الأوائل من التّوابين، سليمان بن صرد الخزاعيّ وأتباعه، فتغدو «مشاية زيارة الأربعين سرا يُخرج الزّائرين من كونهم بشرا إلى ملائكة خلقا وأدبا وإيثارا وتسامحا» (البغدادي، ٢٠١٢، ص٥٢)، وفي الآن ذاته إظهار صدق العشق والولاء، وتأكيد على العهد بالسّير على خطى الحقّ، الذي لأجله قدّم الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيت النّبي صلى الله عليه وآله، كل تلك التّضحيات الجسام.

حين تتّحد ذاكرتا المكان والزّمان المقدّسين من يوم المقتل إلى زيارة الأربعين يتدافع العدد الأكبر من الزّوار على المرقد المقدّس، «فيعتقد الزّائر الشّيعيّ بأنّه يتمكّن

من مصاحبة الحسين عليه السلام كما لو كان معه يوم الطفّ في هذا اليوم» (العامري، ٢٠١٦، ص٢٠٣). والذي يدلّ على ما قلنا ما رواه ابن قولويه عن الإمام الصّادق عليه السلام: «من بات عند قبر الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء لقي الله يوم القيامة ملطّخا بدمه كأنّما قتل معه في عرصته» (القمّي، ٢٠٠٨، ص٣٢٣).

وهكذا تترسّخ لدى الزّائر قداسة المرقد وقدرته على جلب الخير ومقارعة الشّرور، وأنّ وجوده الحقيقيّ الآمن لا يكون إلاّ ضمن الجماعة قرب إمامها في مرقده. ومن هنا نستشفّ أنّ وراء طقوس الزّيارة يكمن «همّ إسكاتولوجيّ» (العامري، ٢٠٠٦، ص٣٣١) يبتغي الظّفر بشفاعة الإمام ومغفرة الذّنوب، ومنتهى كلّ ذلك الخلاص الأخرويّ في ظلّ خيمة أهل البيت، وعلى أساس هذه الممارسة يتكوّن نسق الجماعة المتكوّنة من أفراد يتفاعلون مع بعضهم البعض ويشتركون في القيّام ببعض الشّعائر والأنشطة المشتركة (الجوهري، ٢٠٠٧، ص ٢٢٢).

٢-٢ زيارة الأربعين في كربلاء: مهد الذّاكرة الجماعيّة

تعود نشأة مراسم الاحتفال بزيارة الأربعين في كربلاء حسب ما بين أيدينا من مؤشّرات تاريخيّة إلى واقعة تاريخيّة تقول بأنّ الإمام علي بن الحسين (السّجاد) عليه السلام حين رجع مع قافلة السّبايا من الشّام إلى العراق وقبل توجّهه إلى المدينة ذهب توّا إلى كربلاء لزيارة قبر أبيه الحسين. وكان وصوله إلى كربلاء بعد أربعين يوما من استشهاده. وبحسب كتب المقاتل هناك رواية تقول بأنّه حين وصل إلى مكان القبر وجد أمامه جابر الأنصاري أحد الصّحابة الكبار ومعه عدد من بني هاشم الذين جاؤوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام والترحّم عليه. وفي رواية أخرى التقى الإمام السّجاد بجابر الأنصاري

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com المجلد الثاني،العدد الثاني،الجزء الخامس، القسم الثاني السنة الثانية

في اليوم الثّاني من وصوله، وتحدّث له عمّا جرى لهم من قتل وسبي وتشريد. وممّا قاله السّجاد عليه السلام لجابر الأنصاري: يا جابر ههنا والله قُتلت رجالنا وذُبحت أطفالنا وسبيت نساؤنا وحُرقت خيامنا. ومن ذلك التّاريخ أصبحت كربلاء في ذلك اليوم مقصدا لزيارة الإمام الحسين عليه السلام حيث يؤمّها مئات الألوف من المسلمين من جميع أنحاء العالم العربي الإسلاميّ (الحيدري، ١٩٩٩، ص١٣١).

وثمّة من يصل جذور الزّيارة باتّحاد الرأس بالجسد بعد أربعين يوما من مقتل الحسين عليه السلام، فقد كان رأسه عليه السلام قد رُفع على رمح طويل وأُخذ مع قافلة السّبايا إلى يزيد في الشّام، ثمّ عاد الرّأس من الشّام إلى العراق، وعلى أساس هذه الذّكرى الأليمة انطلقت زيارة الأربعين إلى قبر الحسين عليه السلام والتبرّك به، وقد أصبحت من التّقاليد الإسلاميّة العريقة التي لها أهميّة كبيرة في العراق (الحيدري، ١٩٩٩، ص١٣١).

ورغم أنّ مدفن رأس الحسين عليه السلام قد اختلف فيه، إلاّ أنّ هذه الرّواية تعتقد أنّه أعيد فدفن بكربلاء مع جسده الشّريف «وعن المرتضى في بعض مسائله أنّه رُدّ إلى بدنه بكربلاء من الشّام، وقال الشّيخ الطّوسي: ومنه زيارة الأربعين» (الأمين، ١٩٨٣، مج١، ص ٦٢٧). فقد علّمتنا الأنثروبولوجيا الثّقافيّة بأنّ العمليّات التي يتمّ فيها «تناول الطّقوس هي ذات وظيفة مزدوجة فهي أوّلا تعيد تنشيط التّصورات الدّينيّة وتغذّي الإحساس بالعودة إلى الجذور الأصليّة ثانيا» (الحيدري، ١٩٩٩، ص ٨٥).

ولا يمكننا أن نغفل في السّياق ذاته عن تواصل الزّيارة مع حركة التّوابين بعد المقتل بسنوات قليلة، أي سنة ٦٥هـ حين قاموا بأوّل حركة مقاومة ضدّ الحكم الأمويّ

للأخذ بثارات الحسين عليه السلام بعد أن شعر أهل الكوفة بالنّدم المرير لمقتل سبط الرّسول وابن عليّ وفاطمة الزّهراء، فقد جاء في أخبار الطّبري عن التّوابين أنّ سليمان بن صرد خرج من منزله مع أصحابه في مسيرة نحو كربلاء «فصبّحوا قبر الحسين فأقاموا به ليلة ويوما يصلّون عليه ويستغفرون له. قال: فلمّا انتهى النّاس إلى قبر الحسين صاحوا صيحة واحدة وبكوا فما رُئي يوم كان أكثر باكيا منه» (الطبري، ١٩٧١، ص ٥٨٩).

ويتجدّد طقس المشي نحو المرقد، فقد مشى التّوابون في مسيرة من الكوفة في اتّجاه كربلاء، وهكذا ستغدو المسيرة طقسا أساسيّا يتطوّر لدى الشّيعة في القرون الموالية ليستقيم «حجّا إلى مكان أساسيّ من أماكن الذّاكرة الشّيعيّة الحسينيّة» (بن حسين، ٢٠٢٢، ص ٦٨).

ويتجلّى تطوّر طقوس زيارة قبر الحسين في خبر مهمّ رواه أبو مخنف في تاريخ الطّبري:

حدّثنا الأعمش، قال: حدّثنا سلمة بن كهيل عن أبي عبد صادق قال: لما انتهى سليمان بن صرد وأصحابه إلى قبر الحسين [...] أقاموا عنده يوما وليلة يُصلّون عليه ويبكون ويتضرّعون فما انفكّ النّاس من يومهم ذلك يترحّمون عليه وعلى أصحابه حتّى صلّوا الغداة من الغد عند قبره وزادهم ذلك حنقا فأمر سليمان النّاس بالمسير فجعل الرّجل لا يمضي حتّى يأتي قبر الحسين فيقوم عليه فيترحّم عليه ويستغفر له، قال: فوالله لرأيتهم ازدحموا على قبره أكثر من ازدحام النّاس على الحجر الأسود. (الطبري، ١٩٧١، ص ص ٥٨٩، ٥٩٠).

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com المجلد الثاني،العدد الثاني،الجزء الخامس، القسم الثاني السنة الثانية

ولعلّ هذا الخبر كفيل بجعلنا نتفطّن إلى تشكّل العناصر الأوّليّة لطقوس زيارة قبر الحسين عليه السلام واكتسابها ضربا من القداسة والتّعالي، وهي: الحزن والبكاء، والتّوبة والاستغفار، والإقامة والصّلاة، والتّرحّم على الحسين عليه السلام وأصحابه، والتّضحية بالنّفس. ولا يفوتنا أن نشير إلى أنّ هذا الخبر التّاريخي يمعن في تشبيه زيارة قبر الحسين والازدحام حوله بالحجّ، وهو تصوير بداية تحوّل في العلاقة بين الشّيعة العلويين وأنصارهم وبين قبور آبائهم الرّوحيين، فيكشفون عن ولائهم لزعمائهم ويعلنون الحزن على فقدهم بممارسة أكثر تنظيما، ويمكن أن نعدّ هذا التحوّل النّسبي في إظهار الزّيارة بداية تشكّل منظومة روحيّة توحّد الجماعة حول مرجعيّة موازية للمرجعيّة الرّسميّة وتصنع لهم ذاكرة مستقلّة. (العامري، ٢٠١٦، ص ١١٧).

وفي هذا المضمار «يكون للطّقوس دور مهمّ في إنتاج الشّعور الجماعيّ وانسجام الجسد العضويّ والوعي بأنّ الجماعة وحدة أخلاقيّة» (الدّبابي، ٢٠٢١، ص ١٢).

ويتّضح من خلال ذلك أنّ التّوابين قد قاموا «بحركة رمزيّة تتمثّل في الإحاطة بالقبر ومواعدة الله والحسين عليه السلام بالتّضحيّة بأنفسهم، فقد تكلّم سليمان بن صرد وطلب من الله أن يكرمه بالشّهادة مع الحسين» (بن حسين، ٢٠٢٢، ص ٦٤).

وتنطوي هذه الحركة الرّمزيّة في رأينا على دافع سايكولوجيّ له أثر فعّال في توجيه ممارسة الطّقوس وخاصّة في «أوقات الشّدائد والمحن والأزمات الاجتماعيّة والنّفسيّة التي تعبّر رمزيّا عن الأفكار والمشاعر التي تظهر عن طريق السّلوك» (الحيدري، ١٩٩٩، ص ٨٤).

وهكذا يتّضح أنّ التّوابين قد أسّسوا رمزيّة جديدة هي رمزيّة المكان أو المشهد فقبر الحسين عليه السلام اكتسب بفضلهم أهمّية رمزيّة لدى الشّيعة حيث أصبح مزارا لهم منذ ذلك التّاريخ.

واتّسم هذا المزار بممارسة طقوس الصّلاة والدّعاء والبكاء بصفتها عناصر تعبيريّة أساسيّة ارتبطت بكربلاء وستصبح فيما بعد من الطّقوس الأساسيّة للشّيعة التي ستكسب «القبر-المزار قدسيّة جديدة مرتبطة بالشّيعة مثلما ارتبط الحجر الأسود بطقوس الحجّ إلى البيت» (بن حسين، ٢٠٢٢، ص ٦٤).

ومن هنا «تظهر لنا الوظيفة الاجتماعيّة-النّفسيّة للشّعائر والطّقوس كبدائل تعويضيّة تتبنّاها الجماعات في حالات الحرمان والقلق والاستلاب» (الحيدري، ١٩٩٩، ص ٨٦).

وما من شكّ في أنّ مرحلة كربلاء كانت في مسار التّوابين مهمّة جدّا فقد كان التوقّف بها عبارة عن ولادة تاريخ جديد للشّيعة، فقد نشأت كربلاء على يد التّوابين كمحطّة للذاكرة الشّيعيّة ستتطوّر عبر التّاريخ.

وهكذا غدت الزّيارة إعادة اعتبار للحسين بن عليّ عليه السلام وذكراه كإمام شهيد ومظلوم ومغدور، بل إنّ شعار الثّأر للحسين مثّل القاعدة الأساسيّة التي غذّت المخيال الشّيعي لمدّة قرون واستمرّ هذا الحلم يغذّي الذّاكرة الجمعيّة الشّيعيّة التي تختزل «ما بقي من الماضي في الحياة التي تعيشها المجموعات أو ما تفعله هذه المجموعات بالماضي» (Nora,1984,p1).

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com المجلد الثاني،العدد الثاني،الجزء الخامس، القسم الثاني السنة الثانية

وأمسى الشّعار التّدشينيّ «يا لثارات الحسين»، نواة صلبة في ذاكرتهم الحضاريّة، «يُكرّر بأسلوب صارم أشكال الطّقس ومضامينه وتمثّلاته التي يأتيها المشاركون بصفة مشتركة» (Rivière,1988,pp141,142)، واستقام ميسمهم وخطّهم المميّز لذاكرتهم الحضاريّة، ذلك أنّ «تاريخ البدايات يصبح ميثاقا أسطوريّا للتّقليد» (لوقوف، ٢٠١٧، ص١٠٧).

وعلى هذا الأساس يتجلّى لنا أنّ الطّقوس لها آلية «الاسترجاع الجماعيّ الذي يعيد إلى الذّاكرة أصول الدّين والقيم والأساطير، وهي بهذا المعنى أدوات جماعيّة للتّذكير بما جرى في الماضي والحفاظ عليه من الضّياع [...] وهو ما يفسّر بقاء الطّقوس وديمومتها وتكرارها وتوليد رموز جديدة» (الحيدري، ١٩٩٩، ص ٨٥).

وبناء على ما سبق ذكره يتبدّى لنا أنّ زيارة الأربعين باعتبارها أمّ الزّيارات قد وضعت الحجر الأساس للطّقوس المرتبطة بمقتل الحسين بن عليّ عليه السلام، إنّها «الإرهاصات الأولى لصناعة ذاكرة جديدة بمرجعيّات متمايزة مع الذّاكرة الرّسميّة المهيمنة سياسيّا وروحيّا» (العامري، ٢٠١٦، ص ١٠١).

فليس يخفى «أنّ الطّقوس المؤسّسة تحدد دائمًا الخطّ الفاصل بين أولئك الذين ما زالوا في الخارج والذين هم بالفعل في الدّاخل» (Lardellier,2003,p72).

وإنْ نحن أردنا الوقوف عند سيرورة الطّقوس، وتبيّن الفاصل بين ممارسة الطّقوس ومأسستها لاحظنا الفوارق المتعلّقة بمسألة الزّيارة بين مرحلتي المشافهة والتّدوين، فليس يخفى على أحد «الحيّز الزّمني بين مقتل الحسين عليه السلام وزيارته وإحياء

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com المجلد الثاني،العدد الثاني،الجزء الخامس، القسم الثاني السنة الثانية

ذكراه بطريقة عاطفيّة وجدانيّة بسيطة وبين مرحلة مأسسة هذه الممارسة في القرن الرّابع الهجريّ/ العاشر الميلاديّ» (العامري، ٢٠١٦، ص٦١)، أي اكتساب الزّيارة آدابا مأسسة ضمن نسق ديني خاص «Système Religieux» (Lourens,1998,pp279-296).

ولعلّ هذا الحيّز الزّمنيّ الممتدّ ينضوي تحت مسار واسع تراكميّ لصناعة الذّاكرة الشّيعيّة من مرحلة المشافهة إلى مرحلة التّدوين في الحضارة الإسلاميّة، فبين مرحلتي نشأة طقوس الزّيارة ومأسستها لاحقا «تحوّل الحسين عليه السلام إلى عماد الخيمة الشّيعيّة، فعليه نُصبت وبه كُسيت وداخلها سكن التّشيّع وبها اعتصم الشّيعة، وطغا اسمه على باقي الأئمة في عمليّة صناعة الذّاكرة الجمعيّة» (العامري،٢٠١٦، ص٦٢) ، وممّا يستدلّ به على أنّ «تمام الحجّ لقاء الإمام» (الكليني، ٢٠٠٣، ص٦٣٣)، ما رواه ابن قولويه القمّي عن الإمام الصّادق عليه السلام قوله: «مُرُوا شيعتنا بزيارة قبر الحسين، فإنّ إتيانه مفترض على كلّ مؤمن يقرّ للحسين عليه السلام بالإمامة» (القمّي، ٢٠٠٨، ص٢٣٦).

٣-زيارة الأربعين واستحضار ذاكرة الرّحلة:

٣-١ الرّحلة المقدّسة:

لا شكّ في أنّ زيارة الأربعين حدث قادح لاسترجاع ذكرى رحلة الحسين عليه السلام من الحجاز إلى العراق، فلمّا مات معاوية بن أبي سفيان اجتمع شيعة الكوفة فقام فيهم سليمان بن صرد خطيبا وقال في آخر خطبته:

يا معشر الشّيعة إنكم علمتم بأنّ معاوية هلك وصار إلى ربّه وقدم على عمله وقد قعد في موضعه ابنه يزيد، وهذا الحسين بن علي عليه السلام قد خالفه وصار إلى مكّة هاربا من

طواغيت آل أبي سفيان وأنتم شيعته وشيعة أبيه من قبله وقد احتاج إلى نصرتكم اليوم، فإنّ كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن والفشل فلا تغرّوا الرّجل من نفسه، قالوا: بل نقاتل عدوّه ونقتل أنفسنا دونه، فأرسلوا وفدا من قبلهم وعليهم أبو عبد الله الجدلي. (بن حسين، ٢٠٢٢، ص ص٢٧، ٢٨).

ونستشفّ من قول سليمان بن صرد الخزاعي أمرين اثنين، أوّلهما: الرّغبة في إعادة تثبيت شرعيّة أهل البيت المغتصبة من بني أميّة، «طواغيت آل أبي سفيان»، فقد أصبح الصّراع جليّا بين شرعيتين ضديدتين: شرعيّة الحسين بن عليّ عليه السلام المطالب بحقّ أهل البيت من ناحية، وشرعيّة يزيد بن معاوية ممثّل السّلطة الأمويّة الذي استخلفه أبوه لاستمرار الدّولة الأمويّة من ناحية أخرى. وثانيهما حرص سليمان بن صرد الخزاعي على ضمان نصرة الحسين والحذر من خذلانه والتّغرير به، «وإن خفتم الوهن والفشل فلا تغرّوا الرّجل من نفسه»، ويُخفي هذا الخطاب في ثناياه تهيّبا من قدوم الحسين عليه السلام وخوفا من ضياع شرعيّة أهل البيت مرّة أخرى.

ولمّا تبيّن له أنّهم دحضوا ريْبته وبدّدوا خوفه من الفشل والتّغرير كتبوا إليه كتابا:

بسم الله الرحمان الرّحيم للحسين بن علي عليه السلام من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد البجلي وحبيب بن مظاهر وعبد الله بن وال وشيعته من المؤمنين والمسلمين سلام عليك أمّا بعد فالحمد لله الذي قصم عدوّك وعدوّ أبيك من قبل الجبّار العنيد الغشوم الظّلوم الذي انتزى على هذه الأمّة فابتزها وأمرها وغصبها فيأها وتآمر عليها بغير رضا منها، ثمّ قتل خيارها واستبقى شرارها وجعل مال الله دولة بين جبابرها وعتاتها فبعدا له كما بعدت ثمود وإنّه ليس علينا إمام غيرك. فاقبل لعلّ الله يجمعنا بك على الحقّ والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته يا ابن رسول الله وعلى أبيك من قبلك ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم. (الأمين، ١٩٩٦، ص ص٢٧، ٢٨).

يتّفق المؤرّخون على أنّ الرّسائل الواردة على الحسين عليه السلام من شيعة الكوفة كثيرة تستحثّه على الرّحلة والقدوم إلى الكوفة، ولعلّ هذه الرّسالة واحدة منها أرسل بها جماعة من رؤوس الشّيعة ومناصري الحسين عليه السلام إليه يؤكّدون ولاءهم وأحقيتهم بالإيمان والإسلام، ونوّهوا بالعدل الإلهيّ وانتصار الحقّ على الباطل بهلاك معاوية «عدوّك وعدوّ أبيك»، ثمّ طعنوا في شرعيّة بني أميّة فعدّدوا أفعال معاوية وسقطاته الشّنيعة من قتل واستباحة مال، وأعلنوا البراءة منه بالدّعاء عليه: «فبعدا له كما بعدت ثمود»، والولاء للحسين عليه السلام دون غيره: «ليس علينا إمام غيرك»، وذيّلوا رسالتهم بحثّه على القدوم لنصرة الحقّ وتثبيت شرعيته المقدّسة المستندة إلى نسبه وشرفه: «والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته يا ابن رسول الله وعلى أبيك من قبلك».

وعلى هذا النّحو كانت رحلة الحسين عليه السلام «مفعمة بالعاطفيّة والرّمزيّة وتتالت فيها الأحداث التي كشفت عن حقيقة التّنظيم الشّيعي. لكنّها بيّنت مقدرة الدّولة على تتبّع الثّوار والعاصين لسلطتها» (بن حسين، ٢٠١٣، ص ٢٩٩).

وليس يخفى فوق ما سبق أنّ هذه الرّحلة أو المسير إلى الكوفة كانت «محمّلة بالمعاني ومليئة بالأحداث، فهي عبارة عن ملحمة تتبّعت هذا المسير الذي حفظته الذّاكرة خاصّة منها الشّيعيّة وروته لنا في أدقّ تفاصيله» (بن حسين، ٢٠١٣، ص ٣٠٠).

وقد تجلّى لنا أنّ أحداث الرّحلة وأماكنها تحاط بقداسة وحرمة «فالحسين عليه السلام يخرج من الحرم المكيّ في زمن الحجّ ويسير إلى الكوفة التي تعتبر مصرا من أهمّ الأمصار الإسلاميّة التي صنعت التّاريخ الإسلاميّ عن طريق الفتوحات» (بن حسين، ٢٠١٣، ص ٣٠٠).

وإذا أضفنا إلى قداسة الأحداث ثالوثا مترابطا متكوّنا من ثلاثة رموز أساسيّة مؤسّسة للذّاكرة الجمعيّة الشّيعيّة: «وهي الشّخص والمكان والزّمان، وهي أعمق

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الثاني،العدد الثاني،الجزء الخامس، القسم الثاني السنة الثانية

المفاهيم التي تحكم وجدان المسلمين وتصوّرهم للدّين والإنسان والتّاريخ» (المنصوري، ٢٠١١، ص ٧٩).

فالمتتبّع للأخبار التّاريخيّة يلاحظ أنّ الحسين «يُسمّى في بعض الحالات بابن الرّسول عوضا عن ابن ابنة الرّسول أو حفيد الرّسول، ويكتسي هذا اللقب رمزيّة كبيرة فالحسين عليه السلام أصبح في ذهنيّة النّاس ممثّلا للرّسول صلى الله عليه وآله وفي هذا جانب كبير من الورع والإيمان» (بن حسين، ٢٠١٣، ص ٣٠٥). أضف إلى ذلك ما تحتويه الأخبار من كرامات حفيد الرّسول صلى الله عليه وآله، وهذا ما «يؤكّد على الطّابع الأنتروبولوجي الذي تكتسبه المكانة الميتا-تاريخيّة للرّسول وقد اكتسب الحسين قداسة مكّنته من القيام بأفعال تشبه أفعال الأنبيّاء» (بن حسين، ٢٠١٣، ص ٣٠٣).

وبهذا المعنى تصبح رحلة الحسين عليه السلام وجها من وجوه القداسة التي تنبع من التّكليف الإلهيّ الذي سبق مولد الحسين ومقتله، ومن الأخبار التي تذهب هذا المذهب ما رواه ابن أعثم الكوفي (توفّي ١٣٢هـ/ ٧٥٠م) من أنّ خروج الحسين عليه السلام إلى العراق كان في شكل استخارة لله واستشارة لرسوله، فقد تحوّل الحسين عليه السلام إلى قبر جدّه ليلتين متتاليتين، فصلّى عنده ودعا ربّه وفي اللّيلة الثّانية وضع الحسين رأسه على القبر فأغفى ساعة، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله في كوكبة من الملائكة عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتّى ضمّ الحسين عليه السلام

إلى صدره وقبّل بين عينيه وقال: يا بنيّ، يا حسين كأنّك عن قريب أراك مقتولا مذبوحا بأرض كرب وبلاء(الكوفي، ٢٠٠٣، ص ص ٢٨، ٢٩).

إنّ للرّؤيا «في الفكر الدّينيّ خصوصا حظوة عظيمة فقد احتفت النّصوص المقدّسة بالرؤي وفرّعتها» (الحمامي، ٢٠١٤، ص ٣١٤). ولا شكّ في أنّ مجال الحلم في تصوّرات الفكر الشّيعيّ «قد أصبح قناة تربط بين المؤمن ومجال الغيب» (Lory, 2004,pp95-105).

والمتأمّل في القول المنسوب إلى الرّسول ﷺ يتبيّن صلته بالعالم اللاّمرئي والكشف عن المستقبل: «عن قريب أراك مقتولا مذبوحا بأرض كرب وبلاء».

وفي السّياق ذاته نقل ابن قولويه في كامل الزّيات ضمن باب فضل كربلاء وزيارة الحسين عليه السلام قولا للرّسول ﷺ: «قال لي جبرئيل: يا محمّد، إنّ سبطك هذا، وأومأ بيده إلى الحسين مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك وأخيار أمّتك بضفّة الفرات بأرض يقال لها: كربلاء من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك، وهي أطيب بقاع الأرض وأعظمها حرمة يُقتل فيها سبطك وأهله وإنّها لمن بطحاء الجنّة» (القمّي، ٢٠٠٨، ص٤٨٥)،وتضطلع هذه النبوءة التي جرت على لسان الرّسول ﷺ بدور مهمّ في إضفاء شرعيّة دينيّة على رحلة الحسين عليه السلام، ومن ثمّة تنزيه الإمام عن الأخطاء البشريّة وتثبيت عصمته.ولعلّ أبرز ما يشدّنا في هذا الخبر، اضطلاع كلّ من الرؤيا والنبوءة بدور الجسر الرّابط بين زمنين متباعدين، فلئن كان الواقع عصيّا أحيانا على إيجاد حلقات الرّبط بين الزّمن التّأسيسي المقدّس، زمن النّبيّ، وزمن دنيويّ لاحق (تغلات، ٢٠١٤، ص ص ٢٥٨، ٢٥٩)، فإنّ الرّؤيا بما هي الحلم الحسن (ابن منظور، ٢٠٠٧، ص ٢٩١) والنبوءة المقدّسة تصبحان وسيلة قادرة على إنشاء ضرب من التّماهي بين الزّمنين، فيحلّ الزّمن الأوّل في الثّاني، ويشهد الرّسول من خلال الرّؤيا والنبوءة بأن رحلة الحسين عليه السلام لا مناص منها لإصلاح الدّين وتجديده، فيمنحه بذلك المشروعيّة الدّينيّة، ولعلّنا نلمس أصداء ذلك في ما تؤكّده المرويّات الشّيعيّة التي تنزع إلى أنّ خروج الحسين عليه السلام كان تكليفا إلهيّا لإصلاح ما انحرف من الإسلام، وقد رُوي عن الحسين عليه السلام إعلانه هذا المبدأ في إحدى خطبه التي جاء فيها: «إنّي ما خرجت أشرّا ولا بترا ولا مفسدا ولا ظالما وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب»(الخوارزمي، ٢٠٠٧، ص ١٨٨).

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com المجلد الثاني،العدد الثاني،الجزء الخامس، القسم الثاني السنة الثانية

وقد تبدّى لنا أيضا أنّ الرّؤيا والنبوءة تضطلعان بوظيفة أخرى، فهما تعيدان إلى الأذهان «المراتبيّة الأخلاقيّة الرّوحيّة التي كانت سائدة في زمن النّبيّ، هذه المراتبيّة المتمثّلة بالمعادلة التّالية: سيادة عليا/ سلطة سياسيّة»(أركون، ١٩٨٦، ص ٢١)، ولا شكّ في أنّ هذه المعادلة تكشف عن أجلى مظاهر التّرابط المحكم بين السّيادة العليا الدينّية والسّلطة السّياسيّة، ومن ثمّة إضفاء الشّرعيّة على رحلة الحسين عليه السلام ومشروعه السّياسّي، وفهم سياق عزم الحسين عليه السلام على المضيّ في رحلة المواجهة التي لا مناص منها على الرّغم من اعتراض العديد من محبّيه ومحبّي آل البيت عليه من باب المحبّة والخوف من تصميم أعدائه على التخلّص منه وما يحمله من رأسمال رمزيّ.

٣-٢ زيارة الأربعين: استحضار التّضحية في مواجهة الظّلم

إنّ دعاء زيارة الأربعين يرشح بمعاني التّضحيّة والولاء، فبعد تحديد زمن الزّيارة المستحبّ وهو «عند ارتفاع النّهار» (زين الدّين،٢٠٢٤، ص ٢٣١)، وإلقاء السّلام على الإمام الشّهيد، يزخر الدّعاء بمعجم التّضحيّة وطلب الشّهادة: «أسير الكربات وقتيل العبرات [...]عشت سعيدا ومضيت حميدا ومتّ فقيدا مظلوما شهيدا» (زين الدّين،٢٠٢٤، ص ٢٣٢)، فيكشف هذا المقام على منطق الشّهيد ومنطق المقام الرّبانيّ الرّفيع، منطق الإمام المنصهر في جسد المجتمع إصلاحا وتضحية من أجل بعث الأمل في الحياة وإحقاق الحقّ ودحض الباطل بعد الشهادة.

ويذيّل الدعاء بإعلان الولاء للإمام الشّهيد «اللّهم إنّي أشهدك أنّي وليّ لمن والاه»(زين الدّين،٢٠٢٤، ص ٢٣٢)، والبراءة من الأعداء «لعن الله من قتلك ولعن الله من ظلمك[...] إنّي وعدوّ لمن عاداه» (زين الدّين،٢٠٢٤، ص ٢٣٢)، وهكذا يتجدّد الولاء للإمام والقرب منه مع زيارة الأربعين، وتترسّخ البراءة من قتلته ومن كلّ ظالم منكر لحقّ شيعته، وتجدر الإشارة إلى أنّ الزّوج ولاء وبراءة يمثّل مفهوما متكاملا

في الذّهنيّة الشّيعيّة فلا يمكن استحضار الواحد بمعزل عن الآخر، ونجد هذا القرن بينهما في أغلب نصوص الزّيارات ومنها قول الزّائر أمام مرقد الحسين(عليه السلام): «برئت إلى الله وإليكم منهم وأتقرّب إلى الله ثمّ إليكم بموالاتكم وموالاة وليّكم والبراءة من أعدائكم ومن النّاصبين لكم الحرب والبراءة من أشياعكم وأتباعكم إنّي سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم ووليّ لمن والاكم وعدوّ لمن عاداكم» (القمّي، ٢٠٠٨، ص ٣٣٠).

ومن ثمّة فإنّ زيارة الأربعين مناسبة يتجدّد فيها الولاء لسيّد الشّهداء ومشروعه المهدويّ والبراءة من كل ظالم غشوم، وهي لحظة «يرقى فيها الإنسان من حضيض أنانيّة النّفس إلى أوج أهداف الدّين النّورانيّة» (البغدادي، ٢٠١٢، ص ٥١) فيستحضر مسيرة الحسين التّاريخيّة إلى كربلاء، والعنف الذي توخاه عبيد الله بن زياد لمواجهته، «فوضع الحراسة على الطّرقات بالعراق أي بالبصرة والكوفة[...] فكتب إلى عامله بالبصرة أن يضع المناظر ويأخذ بالطّريق[...] واستعدّ عبد الله بن زياد أتمّ الاستعداد للتصدّي للحسين» (بن حسين، ٢٠١٣، ص ص ٣٠٦، ٣٠٧).

فليس يخفى أنّ «المكانة الميتا-تاريخيّة لأهل البيت وللحسين بن علي أساسا بما أنّه قادم للكوفة كانت كافية لتهديم الشّرعيّة والإيديولوجيا الأمويّة» (بن حسين، ٢٠١٣، ص ٣٠٩).

فالمتتبّع للأحداث يلاحظ أنّ العنف يشتدّ كلّما اقترب الحسين(عليه السلام) من الكوفة، فقد «قُتل قيس بن مُسهر الصّيداوي الذي أقبل إلى الكوفة بكتاب الحسين بعد مقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، فعند وصوله إلى القادسيّة اعترضه الحصين بن تميم وبعث به إلى عبيد الله بن زياد، فقال له عبيد الله بأن يصعد إلى القصر فيسبّ الكذّاب ابن الكذّاب لكن قيس بن مسهر عندما صعد إلى القصر ذكر أنّ الحسين بن عليّ(عليه السلام) خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله [...] ولعن عبيد الله بن زياد وأباه واستغفر لعليّ، فأمر الوالي برميه

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com المجلد الثاني،العدد الثاني،الجزء الخامس، القسم الثاني السنة الثانية

من فوق القصر فتقطّع ومات»(بن حسين، ٢٠١٣، ص ٣٠٨).

ولعلّ اتّخاذ هذا الضّرب من العقاب كان يهدف إلى «تخويف أهل الكوفة» (بن حسين، ٢٠١٣، ص ٣٠٩) وثنيهم على الانضمام إلى الحسين عليه السلام ومناصرته.

ويتواصل العقاب نفسه في مشهد آخر مؤلم، فعندما وصل الحسين عليه السلام بن عليّ إلى زبالة وصله خبر مقتل عبد الله بن بقطر:

فقد أرسله إلى مسلم بن عقيل وهو لا يعرف أنّه قتل، فاعترضه في طريقه خيل الحصين بن تميم بالقادسيّة، فأرسل به إلى عبيد الله بن زياد، فأمره أن يصعد إلى القصر فيلعن الكذّاب ابن الكذّاب ثمّ ينزل فيقرّر الوالي أمره فيه، فصعد فلمّا أشرف على النّاس قال: أيّها النّاس إنّي رسول الحسين ابن فاطمة بنت رسول صلى الله عليه وآله لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة ابن سميّة الدّعي. فأمر عبيد الله أن يُلقى من فوق القصر فكسرت عظامه وبقي حيّا فجاءه عبد الملك بن عمير اللّخمي فذبحه» (بن حسين، ٢٠١٣، ص ص ٣١٢، ٣١٣).

والنّاظر في هذا المشهد العنيف يلاحظ أنّه أشدّ وطأة من الأوّل، فكلّما اقترب شبح الحسين عليه السلام من الكوفة ارتفعت وتيرة العنف فيضاف الذّبح إلى الإلقاء من عل، «فهذا العنف السّياسي في العقاب هو عنف جديد لأنّه يعذّب المعارض ثمّ يقتله. وقد ابتدع ابن زياد ذلك ليعاقب أشدّ عقاب الشّيعة ويقمع هذه الثّورة ويعجّل بفشل حركة الحسين» (بن حسين، ٢٠١٣، ص ٣١٣).

ولا شكّ في أنّ هذه التّضحيّة باختيار الموت على الإذعان كانت «معبّرة عن حبّ أهل البيت، لكنّ النّاس كانوا متخوّفين من قمع عبيد الله بن زياد لهم» (بن حسين، ٢٠١٣، ص ٣١٨).

وهكذا نتبيّن أنّ السّياسة التي اتّبعها عبيد الله بن زياد ضدّ الحسين حفيد الرّسول هي «تصعيد لعنف الدّولة وتكسير لحرمة أهل البيت كما كان عبيد الله بن زياد يتّسم ببطش وبإرادة قويّة لتركيز الدّولة والإيديولوجيا الأمويّة» (بن حسين، ٢٠١٣، ص ٣٤١).

وفي مقابل هذا العنف المتصاعد في وجه الحسين عليه السلام وأهله وأصحابه كان مصمّما على الرّحيل إلى الكوفة رغم كلّ العراقيل، أوّلها أنّه ليس لديه جيش مجهّز بالعدد والعدّة، وثانيها الخشية من أنّ العنف الذي انتهجه ابن زياد يثني أهل الكوفة على دعمه، ولعلّ حجّته في التمسّك بالرّحيل إلى الكوفة هي قناعته «بأنّ الله كلّفه بهذه المهمّة، فهو مدفوع بدوافع روحيّة قويّة. ثمّ ارتحل الحسين عليه السلام من هذا المكان» (بن حسين، ٢٠١٣، ص ٣١٧).

وهكذا نتبيّن أنّ الحسين عليه السلام رحل حاملا مشروع أهل البيت السّياسيّ الذي كان قد توقّف مع مقتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وفي محاولة استئنافه تهديد للشّرعيّة الأمويّة بالرّجوع للسّنة النبويّة بما أنّه حفيد الرّسول وسليل بيته، «فيرجع الصّراع السّياسيّ بعد عشرين سنة من التّوازن الهشّ الذي ركّزه معاوية وبالتّالي سترجع الفتنة من جديد» (بن حسين، ٢٠١٣، ص ٣٣١). وليس أدلّ من ذلك انتقاده الأمويين وسياستهم بشدّة، فاتّهمهم بأنّهم قد «لزموا طاعة الشّيطان وتركوا طاعة الرّحمان وأظهروا الفساد وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله وعطّلوا الحدود» (بن حسين، ٢٠١٣، ص ٣٢٥)، فأخرجهم بذلك عن الأخلاقيّة القرآنيّة لقيامهم بعديد التّجاوزات على حساب القرآن والسّنة.

وعلى الرّغم من أنّ الحسين عليه السلام بدأ يعي وهو يقترب من الكوفة بأنّ التّحالفات والولاءات التي عرفها على عهد والده قد تبدّلت، ذلك أنّه «تلقّى أخبارا سيئة عن أحوال الكوفة، أهمّها موالاة الأشراف للسّلطة الأمويّة وتغيير ميزان القوى لصالح الدّولة وقتل

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الثاني،العدد الثاني،الجزء الخامس، القسم الثاني السنة الثانية

عبيد الله بن زياد لرسول الحسين إلى الكوفيين وإعداده لجيش ضخم لقتاله» (بن حسين، ٢٠١٣، ص ٣٣٢).

واستنادا إلى ما سبق نستشفّ «من النّاحية الأنتروبولوجيّة ظهور قيم جديدة سياسيّة بحتة في إطار الفتنة الثّانية وهي قطع الرّحم وسفك دماء أهل البيت في سبيل تركيز الدّولة والإيديولوجيا الأمويّة» (بن حسين، ٢٠١٣، ص ٣٤٧).

ومن هذا المنطلق «لم يمثّل الحسين سوى معارض من معارضي الدّولة يجب تطبيق سياسة الدّولة عليه. لكن الجديد أنّ حفيد الرّسول ليس لديه أيّ حرمة فهو يُعنَّف لفظيّا» (بن حسين، ٢٠١٣، ص ٣٦٢) ويُعتدى عليه جسديّا.

ونحن لا نستبعد أنّ خوف الدّولة الأمويّة على تهديد شرعيتها التّاريخيّة الهشّة دفعها إلى فرض الطّاعة ووحدة الجماعة فأفرطت في استخدام القوّة واستعمال العنف للقضاء على الحسين عليه السلام. فكانت البيعة والدّخول في الطّاعة، طاعة الخليفة يزيد بن معاوية، شرطا أساسيّا لا مناص منه لوحدة الأمّة وفرز المعارضين، «فإنْ لم يدخل الحسين عليه السلام في الطّاعة وهي أساس الإيديولوجيا الأمويّة يُعاقب كخارج عن الطّاعة» (بن حسين، ٢٠١٣، ص ٣٥٨).

ولعلّ هذا ما يفسّر تصاعد قمع عبيد الله بن زياد للحسين بن عليّ عليه السلام وأصحابه فطبّق عليهم القصاص من الخليفة المظلوم عثمان، وابتدأ هذا القصاص بفرض العطش عليهم مثل ما فُرض على الخليفة عثمان وكأنّ الأمويّون يُحمّلون عليّا بن أبي طالب هذه المسؤوليّة التّاريخيّة إزاء واقعة الدّار ومقتل عثمان.

ويتّخذ العنف وجها آخر فبعد الإلقاء بالرّسل من علوّ شاهق وذبحهم، يتوخّى ابن زياد سياسة فرض العطش على الحسين عليه السلام فمنعوه وأصحابه أن يسقوا من الماء قطرة

وذلك قبل قتل الحسين عليه السلام بثلاثة أيّام، وقد ورد الخبر مؤكّدا في تاريخ الطّبري: «قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم الأزدي قال: جاء من عبيد الله بن زياد كتاب إلى عمر بن سعد: أمّا بعد فحُل بين الحسين وأصحابه وبين الماء ولا يذوقوا منه قطرة، وذلك قبل قتل الحسين بثلاث» (الطّبري، ١٩٧١، ص ٤١٢).

ويقال في السّياق ذاته «أنّ عمرو بن الحجّاج قال: يا حسين إنّ هذا الفرات تلغ فيه الكلاب وتشرب منه الحمير والخنازير والله لا تذوق منه جرعة حتّى تذوق الحميم في نار جهنّم» (البلاذري، ١٩٩٦، ص ٣٩٠).

ويروي البلاذري مشهدا آخر من عطش الحسين عليه السلام أشدّ فظاعة حين «اشتدّ عطش الحسين بن علي عليهما السّلام فدنا ليشرب من الماء فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع في فمه فجعل يتلقّى الدّم من فمه ويرمي به، ثمّ جعل يقول: اللهمّ أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تذر على الأرض منهم أحدا» (البلاذري، ١٩٩٦، ص ٤٠٧).

إنّ ما يسترعي الانتباه في هذا الصّدد أنّ خطّة العنف ضدّ الحسين عليه السلام وأهله ونيّة القتل والتّمثيل بأجسادهم كانت مسطّرة وممنهجة سلفا مع سابق الإصرار والترصّد، وقد ورد ذلك في رواية أبي مخنف:

حدّثني أبو حبّاب الكلبي قال: ثمّ كتب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد: أمّا بعد فإنّي لم أبعثك إلى الحسين لتكفّ عنه ولا لتطاوله ولا لتمنّه السّلامة والبقاء ولا لتقعد له عندي شافعا[...] أنظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إليّ سلما وإن أبوا فازحف إليهم حتّى تقتلهم وتمثّل بهم فإنّهم لذلك مستحقّون، فإن قتل حسين فأوطئ الخيل صدره وظهره فإنّه عاق مشاقّ قاطع ظلوم (الطبري، ١٧٧١، ص ٤١٥).

ووفق هذا التمشّي نستبعد تماما أن يكون قتل الحسين عليه السلام والتّمثيل بجسده عملا

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com المجلد الثاني،العدد الثاني،الجزء الخامس، القسم الثاني السنة الثانية

فرديّا منفلتا، وإنّما يندرج ذلك ضمن عنف الدّولة الذي تتوخّاه للتّنكيل بمعارضيها وإقصائهم، بل وتغييبهم بالقتل.

وليس أدلّ على ذلك من إنفاذ عمر بن سعد الخطّة كما رسمها ابن زياد، فقد جاء في خبر رواه أبو مخنف:

فنادى شمر في النّاس ويحكم ماذا تنظرون بالرّجل؟ اقتلوه ثكلتكم أمّهاتكم، قال: فحمل عليه من كلّ جانب فضربت كفّه اليسرى ضربة ضربها زرعة بن شريك التّميمي وضرب على عاتقه ثمّ انصرفوا وهو ينوء ويكبو، قال: وحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس بن عمر النّخعي فطعنه بالرّمح فوقع (الطبري، ١٩٧١، ص ٤٥٣).

وقد بلغت وحشيّة القتل الذي تشنّه مقاتلة الكوفة في جيش عمر بن سعد على أهل البيت مبلغا فضيعا تجاوز مشهد القتل الفظيع إلى سلسلة من المشاهد العنيفة المرعبة التي تلت القتل، أوّلها مشهد حزّ الرّأس: «فنزل إليه سنان بن أنس فذبحه واحتزّ رأسه ثمّ دفع إلى خوليّ بن يزيد وقد ضرب قبل ذلك بالسّيوف» (الطبري، ١٩٧١، ص ٤٥٣).

وثانيها مشهد الدّوس على الجسد المقتول: «فأتوا فداسوا الحسين بخيولهم حتّى رضّوا ظهره وصدره» (الطبري، ١٩٧١، ص ٤٥٥)، وثالث المشاهد فظاعة إرسال الرّؤوس المقطوعة، إلى الوالي الأموي، ثمّ إلى قصر الخلافة:

فسرّح برأسه من يومه ذاك مع خوليّ بن يزيد وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد وقطف رؤوس الباقين فسرّح باثنين وسبعين رأسا مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجّاج وعزرة بن قيس فأقبلوا حتّى قدموا بها على عبيد الله بن زياد قال أبو مخنف: ثمّ إنّ عبيد الله بن زياد نصب رأس الحسين بالكوفة فجعل يُدار به في الكوفة ثمّ دعا زحْر بن قيس فسرّح معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى يزيد بن معاوية (الطبري، ١٩٧١، ص ص ٤٥٥-٤٥٩).

وهكذا نتبيّن أنّ العنف المبرمج مسبقا قد تمّ إنفاذه على أرض الواقع، وقد شهد فظاعة ودمويّة لم يسبق لها مثيل في التّاريخ الإسلاميّ، وتبيّن هذه السّياسة بلا ريب إمعان الدّولة في عقاب المعارضة الشّيعيّة عقابا يستأصل وجودها واستمرارها، وأكّدت حادثة الطفّ بكربلاء «أنّ يزيد بن معاوية على استعداد تام لارتكاب أكبر الجرائم وأبشعها من أجل تثبيت دعائم حكمه» (محرّمي، ٢٠٠٦، ص ١١٢).

ولا جدال في أنّ مشاهد العنف الموغلة في الدّمويّة، من عطش وتقتيل وحزّ للرّؤوس وتمثيل بالأجساد المقتولة وتركها مقطّعة ومكسوّة بالدّماء في العراء يرتادها العقبان، مثّلت صدمة خطيرة للضّمير الإسلاميّ و«ستكون انعكاساتها وخيمة على شرعيّة يزيد وسلطته وكذلك على شرعيّة عبيد الله بن زياد» (بن حسين، ٢٠١٣، ص ٤٩٣).

ففي هذه المرحلة الأخيرة من واقعة كربلاء شهدنا تطوّرا نوعيّا في العنف السّياسي والتّنكيل، فكان القتل جماعيّا: «قُتل من أصحاب الحسين عليه السّلام اثنان وسبعون رجلا ودفن الحسين عليه السلام وأصحابه أهل الغاضريّة من بني أسد بعدما قتلوا بيوم» (الطبري، ١٩٧١، ص ٤٥٥). ويضيف ابن قولويه القمّي في هذا السّياق أنّ هؤلاء القوم قد بعثهم الله ليكون دفن الحسين عليه السلام وأهله وأصحابه محفوفا بالقداسة حضره الإنس والملائكة، يقول:

وهبطت إلى الأرض ملائكة من السّماء السّابعة معهم آنية من الياقوت والزّمرّد مملوءة من ماء الحياة وحلل من حلل الجنّة وطيب من طيب الجنّة فغسلوا جثثهم بذلك الماء وألبسوها الحلل وحنّطوها بذلك الطّيب وصلّت الملائكة صفّا صفّا عليهم، ثمّ يبعث الله قوما من أمّتك لا يعرفهم الكفّار ولم يشتركوا في تلك الدّماء بقول ولا فعل ولا نيّة فيوارون أجسامهم ويقيمون رسما لقبر سيّد الشّهداء بتلك البطحاء يكون علما لأهل الحقّ وسببا للمؤمنين إلى الفوز وتحفّه ملائكة من كلّ سماء مائة ألف ملك في كلّ

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com المجلد الثاني،العدد الثاني،الجزء الخامس، القسم الثاني السنة الثانية

يوم وليلة (القمّي، ٢٠١٣، ص ٤٨٧).

ومن ثمّة نستشفّ من قول القمّي أنّ الإرادة الإلهيّة قد أبت إلاّ أن تفيض القداسة على شهداء كربلاء التي اجترأ الأمويّون نزعها والحال أنّها «قداسة مكتسبة من نسب الحسين الشّريف وانتمائه لفئة ميتا-تاريخيّة هي أهل البيت النبويّ» (بن حسين، ٢٠١٣، ص ٤٩٣). وقد أبى المخيال الإسلامي عامة والشّيعي على وجه التّخصيص إلاّ أن يحفظ هذه القداسة ويرفع الحسين عليه السلام إلى «صاحب النّعمة الكاريزماتيّة أي السّلطة القائمة على الكاريزما (LE CHARISME)، والتي ترتكز على النّعمة الشخصيّة والاستثنائيّة للفرد، وتتميّز بإخلاص الرعايا الشّخصي كلّيا لإنسان معيّن، وبثقتهم في شخصه فقط باعتباره ينفرد بصفات خارقة ويتميّز بالبطولة وبغيرها من الخصوصيّات النموذجيّة التي من شأنها أن تصنع صورة الزّعيم» .(WEBER,1971,P250)

وهكذا تغدو سلطة الإمام مظهرا من مظاهر السّيطرة الكاريزماتيّة التي تفترض إرادة الطّاعة والإخلاص الشّخصي، وتقوم على «الاعتقاد التّام في شخص استثنائي [...] له كرامات لا تنقطع بالموت» (العامري، ٢٠٠٦، ص ٣٣٣). وقد تجلّت هذه الكرامات المثيرة للرّهبة والخوف والمعاقبة في أخبار كثيرة رواها الطّبري والبلاذري تكشف اللّعنة والعقاب اللذيْن لحقا بكلّ من أساء إلى الحسين عليه السلام ومسّ من شرفه وقداسته، ونكتفي منها بذكر خبرين: خبر عطش الحسين عليه السلام ودعائه على عبد الله بن حصن الأزدي الذي حال بينه وبين الماء: «فقال الحسين: اللهمّ أقتله عطشا ولا تغفر له أبدا، فمات بالعطش كان يشرب حتى يبغر فما يروى فمازال ذاك دأبه حتّى لفظ نفسه» (البلاذري، ١٩٩٦، ص ٣٨٩)، وخبر مالك بن النّسير الكندي الذي ضرب الحسين عليه السلام بالسّيف على رأسه «فأدماه حتّى امتلأ البرنس دما فألقى البرنس ودعا بقلنسوّة فلبسها، وقال للرّجل: لا أكلت بها ولا شربت وحشرك الله مع الظّالمين، وأخذ الكنديّ البرنس فيقال إنّه لم يزل

فقيرا وشلّت يداه» (البلاذري، ١٩٩٦، ص ٤٠٧).

ولا شكّ في أنّ هذه المكانة الميتا-تاريخيّة التي حاول الأمويّون نزعها عن الحسين(عليه السلام)، قد رسّخها المخيال الجماعيّ الإسلاميّ عامّة والشّيعيّ خاصّة، فكان الحسين(عليه السلام) صاحب كرامات مثيرة للرّهبة والخوف أكسبته السّيطرة الكاريزماتيّة التي تجلّت في عنف مقدّس ضدّ قتلته ومنتهكي حرمته وحرمة أهل بيته.

لقد بان جليّا أنّ مع واقعة كربلاء ازدادت الهوّة اتّساعا بين الهاشميّين والأمويّين، ولم يستطع التوازن الهشّ الذي أرساه معاوية بعد افتراق الطّرفين وتقاتلهما في فتنة صفين أن يصمد طويلا، فبين الطّرفين دماء ونقمة وإصرار الشّيعة على الثّأر لم يخمد. فقد أحدث مقتل الحسين وأهل بيته وأصحابه أزمة في الضّمائر بالكوفة ستؤدّي لنشأة عدّة فرق من الشّيعة تندّما وتوبة من عدم نصرة الحسين وأهل بيته ابتداء من التّوابين ثمّ حركة المختار بن أبي عبيد الثّقفي، وغذّت هذه الحركات الفترة الثّانية من الفتنة الثّانية بعد موت يزيد بن معاوية (بن حسين، ٢٠١٣، ص ٤٢١).

وما من شكّ في أنّ السّياسة الأمويّة التي تتوخّى العنف قد أسهمت في توليد العنف المضاد باستمرار، فقد ترسّخت صورة الحسين(عليه السلام) المحمّلة برأسمال رمزيّ في الوجدان الشّيعيّ خاصّة[...] فبسبب قتل هذا الزّعيم اندفع الشّيعة بعفويّة نحو قبره لتذكّر حادثة قتله والبراءة من قتلته في حركة دوريّة طقسيّة (الحيدري، ١٩٩٩، ص٨٣) لا تنتهي «والتّعويض عن حالة الإحساس باليتم» (العامري، ٢٠١٦، ص٢٢٧) التي سبّبها عنف السّلطة.

ومن المهمّ أن نؤكّد أنّ زيارة الأربعين واستحضار التّضحية التّاريخيّة والعقديّة التي ارتبطت بالحسين(عليه السلام) في مواجهة الظّلم قد استحالت إلى قيمة أخلاقيّة ورمزيّة مترسّخة عبر أجيال الزّائرين، فالإمام الحسين ليس جسدا يندثر باندثار مكوّناته المادّية بل رسالة خالدة،

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الثاني،العدد الثاني،الجزء الخامس، القسم الثاني السنة الثانية

ومن ثمّة فالملحمة الحسينيّة لم تكن مجرّد معركة تاريخيّة انتهت أحداثها على أرض كربلاء يوم العاشر من محرّم بل هي مسيرة متواصلة ما بقي الصّراع بين الحقّ والباطل، فالعدوّ الظّالم المستبدّ ليس حاكما تجسّد في يزيد بن معاوية بل هو رمز لكلّ طاغية جائر، فلكلّ زمان يزيده (بوعلاق، ٢٠٢٢، ص٢١٠).

٤ـ الخاتمة:

وفي ضوء هذا كلّه يمكن أن نخلص إلى مفارقة مهمّة، وهي أنّ الأمويّين من حيث أرادوا قتل الحسين عليه السلام ووأد مشروعه السّياسيّ فقد أحيوه ورفعوا من قداسته وأكثروا من أنصاره وحشدوا مؤيّديه، فعلى الرّغم من الإمعان في قتله والتنكيل بجسده، فإنّ الأمويين لم يبلغوا مبتغاهم ولم ينعموا باستتباب السّلم. فلئن قتل الحسين فلم تفن مكانته، بل تأجّجت في قلوب أتباعه، فما مات الحسين عليه السلام في كربلاء ليغيب عن مسرح السّياسة، بل ليحيا بصورة جديدة أكثر تأثيرا وفعلا في الواقع السّياسي. إنّ الخلاص من جسده وحزّ رأسه عنه رفع من حضوره ورسّخ رأسماله الرّمزي في قلوب أنصاره ومن لحق بهم من المستضعفين والمهمّشين «وقد أصرّ من بقي منهم حيّا على التّواصل مع كلّ أثر يحيل عليه، فكان القبر وكانت الزّيارة» (العامري، ٢٠١٦، ص١٠١).

وما انفكّ العنف الأمويّ الفظيع يولّد حركات المعارضة الشّيعيّة، فبعد فناء التّوابين و«قتل سليمان بن صُرد ومن قُتل معه بعين الوردة من التّوابين في شهر ربيع الآخر» (الطّبري، ١٩٧١، ص٦٠٩)، لم يصمت الشّيعة عن حادثة مقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، بل ظلّت الواقعة أزمة محفورة في الضّمائر بالكوفة، فنشأت حركة المختار بن أبي عبيد الثّقفي التي «ستغذّي الصّراع ضدّ الأمويين في الفترة الثّانية من

الفتنة الثّانية بعد موت يزيد بن معاوية» (بن حسين، ٢٠١٣، ص٤٢١).

وسيبعث المختار من جديد الشّعار التّدشينيّ «يا لثارات الحسين» مقتفيا آثار القتلة، «فواصل حربه حين وجّه جيشا إلى عبد الله بن زياد مُدبِّر مقتلة كربلاء ووفّق في القضاء عليه» (جعيّط، ١٩٨٦، ص٤٥١).

فما اكتحلت هاشميّة ولا اختضبت ولا رُئي في دار هاشميّ دخان خمس سنين حتّى قُتل عبيد الله بن زياد. وعن فاطمة بنت عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام أنّها قالت: ما تحنّأت امرأة منّا ولا أجالت في عينها مرودا ولا امتشطت حتّى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد. (الأمين، ١٩٨٣، ص٥٨٧).

ولا جدال في أنّ انتصارات المختار الثّقفي في حروبه الثّأريّة ضدّ قتلة الحسين عليه السلام قد أسهمت في تحويل هذه الحركة العاطفيّة التّعبويّة إلى سلوك استعاديّ طقسيّ «وسهّلت إشباع هذا الشّعار بدلالات دينيّة مذهبيّة» (العامري، ٢٠١٦، ص ص ١١٦، ١١٧)، ممّا جعل هذه الممارسات الطّقسيّة تتحوّل مرحليّا إلى منظومة متكاملة تصنع ذاكرة وتخلق روحا جمعيّة وتشكّل ظاهرة رمزيّة.

وقد بلغنا نهاية المطاف، فإنّنا قد رمنا من خلال استحضار النّصوص التّاريخيّة والذّاكرة الحضاريّة للفضاء الكربلائي في صلته بزيارة الأربعين وسائر الزّيارات عموما أن نكشف حاجة الإنسان دائما إلى هذا القرآن المتجسّد في واقعة كربلاء حتّى يتلوه ويحفظه ويذكّر به نفسه لأنّ فيه آيات كثيرة فكلّ واقعة آية وكلّ حدث في كربلاء آية، وهذا ليس صدفة إن قد جعل الله الإمام قرآنا ناطقا بل هو قرآن عينيّ، وبالتّالي فكلّ ما يدور حوله هو آيات وسور، وإذا أردنا أن نلمس بشكل مرئيّ محسوس الآيات القرآنيّة والسّور، والبنود التي فيها هي في واقعة الطفّ التي بدأ مشوارها من المدينة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com المجلد الثاني،العدد الثاني،الجزء الخامس، القسم الثاني السنة الثانية

إلى مكّة ثمّ إلى كربلاء ثمّ إلى الشّام ثمّ إلى كربلاء ثمّ المدينة (البغدادي، ٢٠١٢، ص ص ٥٨، ٥٩).

فليس يخفى على أحد أنّ زيارة الأربعين هي عبارة عن مهرجان إلهيّ تعبويّ يتمّ فيه نوع من دخول البشر في النّور وبالتّالي يُدرّبون على التّضحية في سبيل القيم والمبادئ ومن ثمّة على رفعة معدن الذّات والطّينة الإنسانيّة (البغدادي، ٢٠١٢، ص ١٢)، فضلا عن دور زيارة الأربعين وسائر الزّيارات في بناء القاعدة الأساسيّة للذّاكرة الجمعيّة وحفظها من الانحلال والتّلاشي، وهي فوق ذلك كلّه تجسيم لمعنى بيعة الإمام بشكل دوريّ متجدّد، وتعبير صادق عن صحبة الإمام ومعاشرته والإقامة بين يديه والفوز بشفاعته والظّفر بسعادة الخلاص في حضرته.

فلا جدال في أن تجدّد زيارة الأربعين ضرب من النّهضة الحسينيّة التي تتجاوز الجانب المأساوي، فتضمّ إلى الأحزان الصّرخة المدوية وإلى العَبْرة العِبْرة والثّورة (بوعلاق، ٢٠٢٢، ص ٣٠٩)، وتخلص بنا هذه القيم إلى نبذ الخوف وكراهة الذّلة والتّوق إلى الحرّية والكرامة.

ولا يسعنا في الختام إلاّ أن نقول إنّ زيارة الأربعين فرصة لاستثمار دروس الحدث الكربلائي لحلّ مشاكل العصر ورفع تحدّيات الواقع والمستقبل.

ولعلّ مثل هذه المؤتمرات فرصة ثمينة للإسهام في تكوين منتدى دولي عالمي أممي تلتقي فيه الشّعوب لمزيد التّعرف على مدرسة الحسين عليه السلام ومشروعه الإصلاحي المتجدّد على الدّوام لإنقاذ البشرية مما تعانيه من صنوف الظّلم والجور والتخريب التي تتّخذ أقنعة جديدة تهدّد الإنسانية من جوانب عديدة، وهكذا يكون المشروع الشعائري الحسيني المهدوي مترامي الآفاق زاخرا بالحلول والتّصوّرات.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الثاني،العدد الثاني،الجزء الخامس، القسم الثاني السنة الثانية

قائمة المصادر والمراجع

أوّلا: المصادر:

- الأمين، محسن (١٩٨٣). أعيان الشّيعة، تحقيق حسن الأمين، ط١، بيروت، دار التّعارف للمطبوعات، مج١.
- الأمين، محسن (١٩٩٦). لواعج الأشجان في مقتل الإمام الحسين، تحقيق حسن الأمين، ط١، بيروت، دار الأمير للثّقافة والعلوم.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (١٩٩٦). أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكّار وريّاض زركلي، ط١، بيروت، مكتب البحوث والدّراسات في دار الفكر، ج٣.
- الخوارزمي، أبو المؤيد الموفّق (٢٠٠٧). مقتل الحسين، تحقيق محمّد السّماوي، ط٤، قم، منشورات أنوار الهدى.
- الشّيرازي، المؤّيد في الدّين هبة الله (د.ت). المجالس المؤيّدة، تحقيق وتقديم مصطفى غالب، ط١، بيروت، دار الأنس.
- الطّبري، أبو جعفر محمّد بن جرير (١٩٧١). تاريخ الطّبري، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، القاهرة، دار المعرف بمصر. ج٥.
- الطّبسي، آية الله الشّيخ محمّد رضا (٢٠٠٤). مقتل الإمام الحسين، تحقيق الشّيخ محمّد أمين الأميني، ط١، بيروت، دار الولاء للطّباعة والنّشر والتّوزيع.
- القمّي، ابن قولويه(٢٠٠٨). كامل الزّيارات، تحقيق جواد القيومي، ط ٥، قم، نشر الفقاهة.
- الكوفي، ابن أعثم (٢٠٠٣). مقتل الحسين وقيام المختار، ط٢، قم، منشورات أنوار الهدى.

ثانيًا: المراجع العربيّة والمعرّبة:

الكتب العربيّة:

- البغدادي، إبراهيم حسين (٢٠١٢). أسرار زيارة الأربعين، ط١، بيروت، الأميرة للطّباعة والنّشر والتّوزيع.
- بوعلاّق، محمّد الصّادق (٢٠٢٢). الملحمة الحسينيّة في الذّاكرة الجماعيّة، ط١، تونس، دار نقوش عربيّة.
- تغلات، زهير (٢٠١٤). الفكر السّياسي الإباضي، ط١، تونس، الدّار التّونسيّة للكتاب.
- جعيّط، هشام (١٩٨٦). الكوفة: نشأة المدينة العربيّة الإسلاميّة، ط١، الكويت، مؤسّسة الكويت للتّقدّم العلمي، إدارة التّأليف والتّرجمة.
- الجوهري، محمّد (٢٠٠٧). المدخل إلى علم الاجتماع، ط١، القاهرة، جامعة القاهرة.
- بن حسين، بثينة (٢٠١٣). الفتنة الثّانية في عهد الخليفة يزيد بن معاوية، ط١، بيروت، منشورات دار الجمل.
- بن حسين، بثينة (٢٠٢٢). ثورة التّوابين ٦٤-٦٥هـ/ ٦٨٤-٦٨٥م، ط١، تونس، دار الاتّحاد للنّشر والتّوزيع.
- الحمامي، نادر (٢٠١٤). صورة الصّحابي في كتب الحديث، ط١، الدّار البيضاء، المركز الثّقافي العربي-مؤسّسة مؤمنون بلا حدود.
- الحيدري، إبراهيم (١٩٩٩). تراجيديا كربلاء: سوسيولوجيا الخطاب الشّيعي، ط١، بيروت، دار السّاقي.
- زين الدّين، عبد الرّسول (٢٠٢٤). زيارات الإمام الحسين، ط١، مؤسّسة قصبة

الياقوت للطّباعة والنّشر.

- العامري، صلاح الدّين (٢٠١٦). صناعة الذّاكرة في التّراث الشّيعيّ الاثني عشريّ: زيارة المراقد أنموذجا، ط١، الرّباط، مؤسّسة مؤمنون بلا حدود للدّراسات والأبحاث.

- العامري، نللي سلامة (٢٠٠٦). الولاية والمجتمع: مساهمة في التّاريخ الاجتماعي والدّيني لإفريقيّة في العهد الحفصي، ط٢، تونس، منشورات كلّية الآداب والفنون والإنسانيّات بمنوبة.

- المنصوري، المبروك (٢٠١١). الفكر الإسلامي في بلاد المغرب: الفكر التّشريعي وأسس استمرار الإسلام، ط١، تونس، الدّار المتوسّطيّة للنّشر.

الكتب المعرّبة:

- لوقوف، جاك (٢٠١٧). التّاريخ والذّاكرة، ترجمة: جمال شحيّد، ط١، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة والسّياسات.

- محرّمي، غلام حسين (٢٠٠٦). تاريخ التّشيع من نشوئه حتّى نهاية الغيبة الصّغرى، ترجمة كمال السّيد، ط١، المجمع العالمي لأهل البيت.

المقالات والدّوريّات:

- أركون، محمّد (١٩٨٦). «مفهوم السّيادة العليا في الفكر الإسلامي»، ترجمة هاشم صالح، مجلّة الفكر العربي المعاصر، (بيروت)، العدد٣٩، أيّار-حزيران.

- العامري، صلاح الدّين (٢٠٢١). «طقوس زيارة المراقد الشّيعيّة: دراسة مقارنة»، ضمن مؤلّف جماعيّ: آداب السّلوك في التّراث العربيّ، إشراف سهام الدّبابي المساوي، ط١، تونس، الدّار التّونسيّة للكتاب.

- الميساوي، سهام الدّبابي (٢٠٢١). «مقدّمة في مقاربات الطّقس»، ضمن مؤلّف

مجلة علمية محكمة نصف سنوية c-karbala.com المجلد الثاني،العدد الثاني،الجزء الخامس، القسم الثاني السنة الثانية

جماعيّ: دراسات في الطّقوس، إشراف سهام الدّبابي المساوي، ط١، بيروت، مؤسّسة مؤمنون بلا حدود للدّراسات والأبحاث.

المعاجم والموسوعات:

- ابن منظور (٢٠٠٧). لسان العرب، موسوعة المعاجم، نسخة الكترونيّة، مصر، شركة ماس للإنتاج التعليمي.

ثالثا: المراجع الأجنبيّة:

الكتب:

- Eliade, M. (1965). Le sacré et le profane, Paris, Gallimard.
- Halbwachs, M. (1950) La mémoire collective, l'Université du Québec.
- Lardellier, P. (2003). Théorie du lien rituel : Anthropologie et communication, Paris, L'Harmattan.
- Lourens, M. (1998). La Religion comme système de sens : introduction à la sociologie de la religion de Niklas Luhmann, in, Social compan., Vol 45, no2.
- Nora, P. (1984). Entre Mémoire et Histoire : les lieux de Mémoire, la république, Paris, Gallimard.
- Nora P. (1984). Entre Mémoire et Histoire : La problématique des lieux, Paris, Gallimard.
- Rivière, C. (1988). Les liturgies politiques, Paris, Presses universitaires de France, 1ère éd.
- Verdier, N. (2009). La mémoire des lieux : entre espaces de l'histoire et

territoires de la géographie, Equinter.

- Weber, M. (1971), Le Savant et Le Politique, Paris, Plon.

٢ـ المقالات والدّوريّات

- Lory, P. (2004). « L'interprétation des rêves dans la culture musulmane », In, Economica –Anthropos.